الأمير عبد القادر الجزائري
"رجل الدولة والقائد العسكري".*

أ.د. الحسين عماري*

مقدمة: كانت الجزائر من أوائل شعوب العالم الثالث، التي تعرضت للغزو الاستعماري الشرس سنة 1830م، هذا الغزو الذي مس القيم والمؤسسات وعوامل الوحدة، وقد أسفر هذا التحدي الذي شكله الاحتلال الفرنسي للبلاد عن ردود فعل مختلفة، تمثلت في اندلاع حركة المقاومة أهمها مقاومة عبد القادر الجزائري التي اعتبرت نموذجا لملحمة المقاومة الأصيلة الشعبية الواعية، الهادفة إلى خلق الأمة والدولة الجزائرية.

فما هو السياق التاريخي العام الذي تمت فيه مبايعة الأمير عبد القادر؟ وكيف تمكن من إرساء القواعد الأولى لبناء دولة وطنية جزائرية؟ وما هي الإستراتيجية التي طبقها هذا القائد العسكري الفذ في مواجهته للعدو؟ وأهم المعارك التي خاضها ضده؟

1- السياق التاريخي الذي تمت فيه مبايعة الأمير عبد القادر: لقد شكل الاحتلال الفرنسي بالنسبة للشعب الجزائري حلقة جديدة من حلقات الحروب الصليبية، إذ أكدت تصريحات العديد من القادة العسكريين حقيقة النوايا الصليبية للاحتلال، حيث كتب الماريشال بيجو وهو آنذاك سكرتير القائد العسكري لجيش الاحتلال: "إن أيام الإسلام في الجزائر أصبحت معدودة...، إن مدينة الجزائر لن يكون لها بعد عشرين سنة من إله إلا المسيح"[1].

ولم يكن أمرا مثيرا للدهشة كذلك، أن يضع الكونت "دوبورمون" القائد العام لجيش الاحتلال الصليب سنة 1830م على جامع كتشاوة- تعبيرا منه عن تحويله إلى كنيسة- في الوقت الذي تم فيه رفع العلم الفرنسي على دار الحكومة في العاصمة[2].

وبذلك، ومن خلال التصريح الأول، والسلوك الثاني، تنبعث الرائحة الصليبية من قوات الاحتلال، ولعل هذا سبب جوهري من بين أسباب أخرى، وراء انتظام الشعب الجزائري المسلم، في حركة مقاومة لم يعرف لها مثيل في التاريخ المعاصر[3].

*أستاذ التعليم العالي في التاريخ الحديث والمعاصر- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- بني ملال- المغرب.

وفي غضون هذه الفترة، اجتمع أهل تلمسان التي تميزت بعلاقاتها التجارية التقليدية مع فاس، واتفقوا على إرسال وفد إلى سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن بن هشام، لمطالبته بالتدخل ومساعدتهم على التصدي للغزو الأجنبي؛ فاستفتى السلطان علماء فاس الذين لم يقبلوا بفتواهم الاستجابة لمطالب أهل تلمسان "فرد عليهم فقهاء الجزائر وألزموهم الحجة الشرعية"، وفي هذا السياق يأتي رد العالم المصلح المجاهد أبو الحسن التسولي الذي فور رجوعه من غيبته و"اطلاعه على ما أفتوا به، تحركت نخوته الإسلامية، وفاضت مشاعره الجهادية، فكتب تقييدا في الرد على فقهاء بلدته، والانتصار للموقف الشرعي الجهادي الذي اقتضاه الحال"[4].

حيث قال: "لما فتح الروم ثغر الجزائر أعادها الله دار إسلام في الحرم سنة ست وأربعين ومائتين وألف، وغنموا سلطانها، وبقي ذلك الجو بلا أمير يجمع كلمتهم فدخلهم الرعب واختلت الكلمة وغلب الفساد فيهم؛ فأتى رؤساؤهم وأهل الوجاهة منهم إلى أمير المؤمنين الآخذ لراية الكتاب والسنة باليمين، ظل الأمن والأمان مولانا عبد الرحمن سائلين منه الدخول في إيالته، وإجراء الأحكام فيهم بكلمته وسطوته، فاستشار- أيده الله- قاضي هذه الحضرة الإدريسية وقتئذ وعلمائها؛ فأفتوا بعدم قبولهم لأن تلك إيالة أخرى وسلطانهم- وهو العثماني- سلطان إسطنبول لا زال قائما موجودا؛ فلما رأى علماء ذلك الجو وأهل الوجاهة منهم ما أفتى به قاضي فاس وعلماؤها كتبوا للسلطان المذكور- وهم يومئذ "بفاس"- ما نصه: "ليعلم سيدنا قطب المجد ومركزه، ومحل الفخر ومحرزه، أساس الشرف الباذخ ومنبعه... السلطان الأعظم الأمجد الأفخم، نجل الملوك العظام سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن هشام، أبقى الله سيدنا للمسلمين ذخرا ومنحه مودة وأجرا، أن فتوى سادتنا علماء فاس مبنية على غير أساس، لأنهم اعتقدوا أن في عنقنا للإمام العثماني بيعة، وهذا لو صحّ لكان علينا حجة، وليس الأمر كذلك وإنما له مجرد الاسم هنالك، وعامل الجزائر إنما كان متغلبا، وبالدين متلاعبا؛ فأهلكه الله بظلمه وتطاوله على عباد الله وجوره وفسقه..." [5].

وأمام إلحاح أهل تلمسان، قبل السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بيعتهم، "وعيّن ابن عمه علي بن سليمان خليفة عليهم يساعده إدريس عامل وجدة كوصي عليه" لصغر سنه، "وزوده بالجند والمال اللازمين"، واعتمد السلطان على سيدي الحاج العربي شريف وزان بحكم النفوذ الذي كان له في المنطقة، كي يدعو القبائل هناك إلى الخضوع لسلطته[6].

رحب تجار تلمسان والقبائل المجاورة بالخليفة الجديد، لكن القولوغلي رفضوا الاعتراف والتبعية لسلطة المغاربة، فاعتصموا بالمشور، وحذت حذوهم الدواوير والزمالة؛ فسارع كلوزيل لمعالجة هذا الموقف، حيث أرسل أحد ضباطه محملا بإنذار موجه إلى سلطان المغرب يطالبه بإخلاء تلمسان[7]، وبأن يكف عن التدخل في الشؤون الجزائرية، "ولم يخف السلطان على ممثل فرنسا في طنجة رغبته في الاحتفاظ بتلمسان، وأكد له حقوقه فيها وواجباته إزاء المسلمين"، ولعل من العوامل التي شجعت السلطان على الاستمرار في سياسة هذه وصول أنباء عن اضطرار الفرنسيين إلى الانسحاب من مدية وعزم الجزائريين على المقاومة[8].

أدى انسحاب المغاربة من منطقة تلمسان إلى تفاقم الوضع بها، حيث انتشرت الفوضى، وزاد تذمر السكان تجاه تصرفات الجنرال بوايبه التعسفية، فأصبحت الحاجة ماسة إلى شخصية قادرة على توحيد السكان وقيادتهم للتغلب على الفوضى ومقاومة الاحتلال؛ فاجتمع أهل الحل والعقد غرب الجزائر للبث في من توفرت فيه شروط الإمارة من أجل مبايعته؛ فعرضوا الإمارة على زعيم الطريقة القادرية محيي الدين "... وكان أعصف القوم ريحا، وأبعدهم صيتا، وأنفذهم كلمة..."[9]، لكن محيي الدين اعتذر بسبب كبر سنه، ثم عاد أهل المغرب فألحوا عليه قبول الإمارة والجهاد، فأبى الإمارة وقبل الجهاد[10].

ثم بادر محيي الدين بشن عدة هجومات على وهران وحقق عدة انتصارات باهرة في مقاومة الغزاة بمعارك خنق النطاح الأولى والثانية ورأس العين وبليدة وغيرها[11]، برز فيها بشكل واضح ابنه الشاب عبد القادر. لكن محيي الدين عجز عن احتلال وهران، ووضع حد للصراعات القبلية، مما جعله يضطر تحت تأثير عامل السن إلى التخلي عن هذه المهمة لفائدة ابنه.

وفي 24 نونبر 1832 اجتمع العلماء والأعيان ورؤساء القبائل في سهل غريس، وبايعوا عبد القادر، وعمره آنذاك 24 سنة، أميرا وزعيما للجهاد "...لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة، وعقل سليم، وذات سليمة صالحة لتنفيذ الأحكام... بايعوه من غير طلب للإمارة، ولا متابعة للنفس الأمارة، بل بايعوه رغما عنه..."[12]. ولم تكن هذه البيعة فقط من أجل جهاد الفرنسيين، بل لإنقاذ البلاد من الفوضى والفتن وجمع الكلمة، لذلك لقب عبد القادر "بناصر الدين".

وفي ظروف جد صعبة، تميزت بسيادة الفوضى والبلاء بالمدن الجزائرية، واشتعال نار الفتن، قبل عبد القادر مبايعة علماء البلاد وزعماء القبائل سنة 1832[13]. وفي شأن تعيينه صرح الأمير: "لقد قبلت البيعة مؤملا أن أكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام بينهم وحماية البلاد من العدو. لذلك أدعوكم لتعملوا ولتتفقوا جميعا"[14].

ويتضح من خلال كلام الأمير هذا، مدى بعد النظر الذي تمتع به، وتطلعاته إلى توحيد القبائل وتماسك بعضها البعض كشرط أساسي للصمود في مواجهة المحتل وإنجاح خطته، ولتحقيق هذه الأهداف اتخذ الأمير تدابير عديدة، تجلى فيها صدى ما خلفته في نفسه المنجزات السياسية والاقتصادية التي شاهدها عندما زار مصر على عهد محمد علي وهو في طريقه مع والده إلى مكة[15].

فكيف تمكن هذا القائد الفذ من وضع الأسس الأولى لبناء دولة وطنية جزائرية؟ وما هي السمات التي طبعتها؟ والإصلاحات التي أدخلها على هياكلها وتنظيماتها المختلفة؟

2- أرسى عبد القادر القواعد الأولى لبناء دولة وطنية جزائرية:

1- ارتكزت دولة الأمير على مجموعة من المقومات وتميزت بمجموعة من السمات: ارتكزت الدولة التي أقامها الأمير عبد القادر على مجموعة من الأسس، وتميزت بمجموعة من الخصوصيات من ضمنها أنها كانت مبنية على:

بيعة شرعية يقدمها المواطنون، ويجددونها بمختلف الجهات، أي أنها شكلت دولة قائمة على إخلاص الحاكم وثقة المحكومين، وفي هذا السياق يقول صاحب تحفة الزائر أن الأمير بنى إمارته على قوتين: "قوة رغبة وقوة رهبة. إلا أن القوة الأولى كانت هي المعول عليها، ولذا كان الأكثر من سكان البلاد يطيعونه بخلوص ووداد..." [16]، وقد وقف الضابط الفرنسي الأسير ماسو عند هذه الحقيقة، حيث أشار في تقريره أن "عبد القادر قائد شعبي والقبائل تحترم هذا القائد الفذ أكثر مما تخافه، لاشك في أنه استطاع أن يفرض سلطته بالقوة، ولكنه نجح في تجسيد آمال الشعب"[17].

وبذلك يتضح أن حكومة الأمير اختلفت عن الحكومة الجزائرية التركية السابقة، لكونه تولى السلطة بموجب بيعة رضى من طرف سكان سئموا من الفوضى العارمة التي كانت تعم البلاد، وخافوا من خطر الاحتلال الأجنبي، فجاءت هذه البيعة لتضع الثقة التامة في شخص الأمير، وتفوض له مسؤولية العمل على إنقاذ البلاد من الفوضى والاحتلال[18].

كما تميزت هذه الدولة ببعدها الوحدوي حضاريا وثقافيا، تمثل في سعي الأمير إلى تجديد الفكر والعمل السياسي، مع استنهاض همم أهل المغرب العربي داخل الجزائر وخارجها لمواجهة العدو المستعمر عسكريا وسياسيا وعلميا(19).

ويربط الأمير الأزمة السياسية التي عرفها المغرب العربي في أوساط القرن التاسع عشر بالتباعد الموجود بين الوعي/الضمير السياسي الوحدوي الذي كان يكافح من أجله، وسلوك التفرقة والتطاحن الذي كان سائدا بهذه المجموعة، من فوضى قبلية وذهنيات إقطاعية، وأنظمة متداعية، وخيانات للقضية الوطنية(20).

ومن جهة أخرى، ترى بعض الدراسات التاريخية المعاصرة "أن الأمير كان يحكم كصاحب سيادة، يحمل لقب "أمير المؤمنين وسلطان الجزائر"، ولكنه يجاري في أوائل عهده سلطان فاس عبد الرحمن بن هشام؛ فيلبس القفطان الذي جاءه في المناسبات، ويذكر اسمه في خطبة الجمعة، ولكنه أغفل اسمه في العملة التي أصدرها، كل ذلك في مقابل المساعدة التي كان سلطان فاس يقدمها إليه أحيانا، ولإسكات الأصوات التي قد تطعن في شرعية حكمه"(21).

وكان الأمير يومن بوحدة الخلافة، لذلك لم يخالف الدولة العثمانية في نظامها ولا سياستها، فالخلافة العثمانية كانت في نظره امتدادا لنظيرتها العربية الإسلامية، "ينظر إليها بقدسية واضحة"، ولا أدل على ذلك اللهجة التي كان يخاطب بها السلطان العثماني في رسائله، والتي تعبر بوضوح عن ولائه لدولة الخلافة واحترامه لها، ونورد على سبيل المثال هنا بعض النماذج منها من قبيل: "هذا الكتاب من خادم حضرتكم وخادم المجاهدين بوطن الجزائر، عبد القادر بن محيي الدين"، وأيضا "إلى مولاي الخليفة عبد المجيد سيدنا وابن سيدنا الجد عثمان"، و"حتى أقف بين أيديكم"، "ونحن منكم ومن عيالكم"(22).

كما أن موقفه هذا من الدولة العثمانية لم يتغير فيما بعد، رغم عدم مساعدتها له أثناء مقاومته للغزاة(23)، بل "لم يكن يعتبر الحكم العثماني حكما أجنبيا، وإنما حكما إسلاميا"(24).

واستمدت دولة الأمير شرعيتها من انطلاقه في أعماله من منطق شرعي من خلال اعتماد القرآن كدستور، والسنة كإطار مرجعي، وتطبيق مبدإ الشورى وإجماع الفقهاء(25)، حيث كان حريصا باستمرار على إبعاد الطابع الفردي لسلطته، رغم السلطات الواسعة المعترف له بها، بإشراك أهل الحل والعقد حتى من خارج الجزائر، من الأزهر والزيتونة والقرويين بفاس، ومن

العواصم الإسلامية، "حرصا منه على ضبط أمور الدولة والاجتهاد، وربط أطراف الأمة الإسلامية، وجمع الشمل"، من أجل التصدي للعدو الاستعماري(26).

وعلى سبيل المثال ما كتبه إلى علماء فاس سنة 1252هـ/1836م، يسألهم عن موقفه من المسلمين الذين تواطؤوا ضده مع العدو، أو انضموا إلى الكفار، بعد أن استعملوا معهم الحيلة السياسية(27).

كما تميزت هذه التجربة السياسية بحضور النزعة الوطنية، وحرص الأمير على خدمة المصلحة العامة للبلاد، حيث "أوجد بعدا جديدا في حياة المجتمع الجزائري، هو شعور الانتماء إلى مجتمع يتجاوز حدود القبيلة، مجتمع أراده أن يكون أمة"(28)، وفي هذا الإطار يقول بول فورنييه: "إن الفرنسيين لم يبدأوا الحرب على رجل طموح بل على شعب يتكون وعلى دولة تبنى"؛ "فقد نجح فعلا في وضع نواة الدولة والأمة التي ظلت حية في أذهان المتنورين الجزائريين حتى قامت الثورة الجزائرية الحديثة، التي اعتبرها زعماؤها بنت ثورة عبد القادر وامتدادا لها"(29)؛ "فهو إذن موقظ الوعي والضمير الوطني الجزائري(30)، "ومؤسس الوطنية والسيادة في هذا البلد"(31).

وحاول الأمير لبناء هذه الدولة والأمة أن يوضح قولا وفعلا أنه لا يعمل لنفسه بل لخدمة الصالح العام، لذلك كان يؤكد أن الغاية الوحيدة من قبوله تقلد هذا المنصب، هي أن يكون رعاياه آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، مطمئنين على بلادهم، متمتعين بشعائرهم الدينية، وبأنه لا يمكن بلوغ مراده من ذلك، إلا بمساعدتهم ماديا وبشريا(32).

ومن بين السمات التي طبعت سياسة الأمير عبد القادر كذلك حضور البعد الحداثي فيما يخص بعض الجوانب منها، حيث كان متفهما لروح العصر الحديث، لاسيما وأنه اطلع على تنظيمات ومنجزات محمد علي في إطار بناء دولة مصر الحديثة أثناء مروره منها، فأعجب به، وترك في نفسه أثرا عميقا، وأدرك سر تفوق الغرب الأوربي(33)، لذلك وقف موقف المحبذ للمخترعات الغربية، خصوصا في المجالين العسكري والصناعي، وبالضبط الصناعة الحربية، كصناعة البارود والبنادق والمدافع...(34)، وجلب أطرا عسكرية أوربية لتدريب جيشه النظامي(35).

كما بنى دولته على المساواة وعدم التمييز، إذ يقول في هذا الإطار: "لا تسألوا أبدا عن أصل الرجل بل اسألوا عن حياته وأعماله، وشجاعته ومؤهلاته، وستعرفون من هو. إذا كانت

مياه النهر طاهرة مقبولة عذبة فلأنها جاءت من منبع صاف..."[36]، وكان حريصا على تطبيق العدالة، إذ كان يعلن في الأسواق أن من له شكوى من الآغا،أو القائد أو القاضي فليرفع تظلمه إلى الأمير لينصفه[37].

ومن خلال ما سبق، يتضح أن شخصية الأمير العظيمة جمعت بين القيادتين الروحية والدنيوية، وتميزت ببعد الرؤية في مخططاتها؛ فما هي أهم التنظيمات التي ميزت دولته؟

2- أقام عبد القادر جهازا إداريا لتأطير القبائل وتنسيق الجهود المشتركة ضد العدو: شعورا منه بأهمية الجهاز الإداري كأداة لتأطير القبائل وتنسيق الجهود المشتركة ضد الفرنسيين، أقام عبد القادر نظاما إداريا محكما وموحدا، أنهى ما كان ينبني عليه التقسيم الإداري التركي من تفرقة[38].

وجعل دولته مكونة من وزراء وخلفاء وقادة محليين[39]، وكانت المناصب بيد الأكفاء من الإداريين[40]، وكان عبد القادر يختار رجال الإدارة الكبار من المتدينين الذين يثق في إخلاصهم وكفاءتهم وشجاعتهم ونزاهتهم[41]، وشملت دولة الأمير ثمانية أقاليم، على رأس كل إقليم خليفة، وهو المسؤول مباشرة لدى الأمير، منحه هذا الأخير سلطات واسعة تمثلت في جمع الضرائب، وإقامة الحدود، وإجراء القضاء بين الناس، وحماية الأمن، ومحاربة العدو[42].

وبعد معاهدة تافنة سنة 1837م، أضاف الأمير أربعة أقاليم أخرى، وكل إقليم كان مقسما إلى عدة نواحي، على رأس كل ناحية آغا، وكل ناحية مقسمة إلى أعراش أو قبائل، وعلى رأس كل منها قائد، وكل فرقة من القبيلة تابعة لنفوذ الشيخ[43].

وأصبح الخلفاء والقواد وأعوانهم يتقاضون رواتب محددة من الدولة، ويخضعون لرقابتها، لا سيما في الشؤون المالية، لتفادي ما كان يرتكبه البايات فيما سبق من نهب، وإثقال كاهل الأهالي بالضرائب[44].

وقسّم الأمير عبد القادر السلطات إلى تشريعية وتنفيذية وقضائية[45]، وأصلح القضاء، وأوجد مجالس استئناف، وكان حريصا على تطبيق العدالة[46].

فما هي التدابير التي اتخذها في المجال الضريبي؟

3- أدخل الأمير إصلاحا جوهريا على النظام الجبائي: في هذا المجال أدخل عبد القادر إصلاحا جوهريا تمثل في إسقاط الضرائب السابقة على الرعية، وإلغاء امتيازات المخزن[47]،

وتعويضها بنظام جبائي موحد، انحصر في جباية الضرائب الشرعية كالزكاة على المواشي في الربيع، والعشور على المواسم في الصيف[48] طبقا للشريعة الإسلامية.

كما تم تعميم هذه الضرائب على الجميع بدون تمييز أو استثناء[49]، مما أسهم بشكل فعال في توطيد دعائم حكمه[50].

وأمام التكاليف الناجمة عن المجهود الحربي، اضطر الأمير بعد استشارة العلماء إلى إحداث ضريبة الجهاد عرفت "بالمعونة"، وكانت تؤخذ عينا أو نقدا، وما هو عيني منها يخزن في المستودعات/المخازن الجماعية، من جهة لتأمين إمداد الجيش بما يحتاج إليه من مواد حتى لا يعيش على حساب القبائل كما كان يفعل الأتراك[51]، ومن جهة ثانية، مساعدة السكان في المواسم السيئة، وتأمين البذور، ومساعدة الفقراء، وإعداد البلاد على أحسن وجه للقتال[52]. لكن بعض القبائل رفضت بتحريض من خصوم الأمير ومنافسيه دفع هذه الضريبة، وأعلنت خروجها عن طاعة الأمير، ونقضها لبيعته[53]، مبررة ذلك بأن "...البيعة إنما كانت على الجهاد، وحمل أثقال الضريبة إنما كان لنفقاته، وحيث أن الجهاد طوي بساطه والأمير ركن إلى مسالمة العدو فلنا أن نرجع عن بيعتنا ونمتنع عن دفع أموالنا"[54].

كان رد الأمير أن الهدف من فرضه لهذه الضريبة هو خدمة مصلحة الشعب العامة، لا مصلحته الشخصية، وأنه غني عن تلك الأموال التي يحصل عليها عن طريق تلك الضريبة، حيث أكد "...أن الغاية الوحيدة في قبولي لتقلد هذا المنصب أن تكونوا آمنين على أنفسكم وأعراضكم وأموالكم، مطمئنين على بلادكم...، ولا أظن أنه يخطر في بال أحدكم أن الأموال التي تؤخذ منكم أبتغيها لنفقاتي الشخصية لعلمكم وتحققكم إني غني مليء بما خلفه والدي..."[55].

وإذا كانت هذه بعض الإنجازات التي قام بها الأمير كقائد سياسي، فما هي الإصلاحات التي قام بها وهو قائد عسكري؟

3- <u>عبد القادر القائد العسكري، وأهم إنجازاته في مجال المقاومة المسلحة:</u> تولى عبد القادر القيادة العسكرية على إثر مبايعته كأمير للبلاد وقائد لحركة الجهاد، فانطلق بعد اتخاذه مدينة "معسكر"[56] عاصمة لدولته الفتية، يرسي دعائم هذه الأخيرة. ومن الجوانب التي استرعت اهتمامه وخصها بعناية قصوى، الجانب العسكري الذي رسم له نظاما وإستراتيجية، اعتبرت هي السر الذي جعل دولته تعمر طويلا، بل كانت وراء الانتصارات التي حققها هذا البطل،

الذي تمكن من الصمود في وجه قوة من أكبر القوى العسكرية في العالم لمدة سبعة عشر عاما[57].

فما هي إذن أهم الإجراءات والتدابير التي اتخذها هذا القائد الفذ في هذا الإطار؟

بما أن الأمير كان يدرك أهمية وضرورة خلق جيش قوي يدعم أهدافه داخليا وخارجيا، فإنه بادر إلى خلق جيش نظامي حديث، اهتم بتدريبه على أحدث الفنون، وتزويده بأحدث الأسلحة. ومثل هذا الإجراء ليس بغريب على قائد فذ، كان شغوفا بالصيد وركوب الخيل...، وشجاعا فخورا بشجاعته التي عبر عنها في قصيدته المشهورة "بي يحتمي جيشي"، قائلا[58]:

وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطالي	ومن عادة السادات بالجيش تحتمي
تخالينهم في الحرب أمثال اشبال.	وبي تتقي يوم الطعان فـــــوارس

لذلك، دعا إلى عقد مجلس عام من رجال الدولة وأعيانها، وبعد حصوله على موافقته، عمم بلاغا على الأهالي جاء فيه: "...ليبلغ الشاهد الغائب أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد، فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة (معسكر) ليتقيد اسمه في الدفاتر الأميرية"[59].

و"قسّم الأمير هذا الجيش إلى خيالة ومشاة ومدفعية، وحدد الرتب والمرتبات واللباس"، وأوجد النياشين/الأوسمة، لمنحها لمن يظهر شجاعة أثناء الحرب، وخصص تعويضات لعائلة الجندي الشهيد، وللذين يصابون بأضرار وأعطاب تمنعهم عن العمل، وخول للجندي المصاب بمرض يمنعه من مزاولة عمله، الاستفادة من نصف راتبه طوال حياته[60].

وكان يختار رؤساء الجند من "ذوي النجدة والشجاعة والإقدام، والقوة في الدين واليقين"، والصبر والثبات والعظمة..."[61]، وأوجد المستشفيات العسكرية الضرورية، أما عدد الجيش فقدر سنة 1840م بحوالي عشرة آلاف جندي موزعين على الأقاليم الثمانية.

أما الجيش غير النظامي فتألف من جنود القبائل الذين يتم جمعهم من طرف الخلفاء من أجل الدفاع المحلي، والمشاركة في العمليات التي يقودها الأمير إلى جانب الجيش النظامي.

ولم يكن عدد الجيش ثابتا، حيث قدر بثلاثة وخمسين ألفا سنة 1839م، وبعشرين ألفا سنة 1840م[62].

وعمد الأمير إلى بناء الحصون والقلاع إلى جانب كل مدينة من أجل حمايتها، كحصن تاكدامت قرب تلمسان، وحصني سبدو وبوغار في جنوبها، وإلى جانب مدينة معسكر بنى حصن سعيدة، وحصن بلخروب جنوب الجزائر المحتلة، وحصن تازة جنوب مليانة، وحصن بسكرة جنوب قسنطينة وغيرها(63).

وقد عرفت هذه الحصون "بمدن عبد القادر بن محيي الدين". وشملت هذه الاستراتيجية العسكرية التي رسمها جوانب عسكرية عديدة، هجومية ودفاعية، ومكنت من حماية المدن والمداشن (صوامع الحبوب)، ومواقع المياه، ومناجم المعادن، وكان محافظ المدينة أو الخليفة هو الذي يزود حاميات هذه الحصون بالمؤن والسلاح(64).

وخضع ضباط وجنود هذه الحصون لنظام عسكري مضبوط، ولمواصفات محددة، حيث نص القانون العسكري على دقة اختيار الضباط، وإخضاعهم لفحص دقيق قبل تسلمهم لمهامهم، ومن بين المواصفات التي ينبغي أن تتوفر فيهم الشجاعة، وسلامة البنية، والانحدار من أسرة معروفة وأصيلة، وأن تكون لهم سوابق جيدة، بالإضافة إلى التعاطي للدين، والأخلاق الفاضلة، ورباطة الجأش...(65).

كما اهتم الأمير ببناء المصانع والأفران، والمنشآت العسكرية للتزود بالأسلحة والذخيرة، ومن أهم المصانع التي أسسها مصنع الحديد ومطحنة البارود بتلمسان، المتخصصة في صناعة المدافع، ومصنع معسكر الحربي، ومطحنة البارود في قلعة بني راشد، ومصانع مليانة، وتاكدامت وغيرها. ورغم كثرتها، فإنها كانت تعتمد على وسائل تقليدية بسيطة جدا، مما جعلها عرضة للعطب بين الحين والآخر وقلص من مردوديتها، هذا فضلا عن عمليات الاكتشاف والاستطلاع التي يقوم بها الجيش الفرنسي، وما يواكبها من تخريب وتدمير لمختلف هياكلها(66).

وبالإضافة إلى هذه الصعوبات، فإن الأمير عبد القادر كلف العديد من الأجانب بإدارتها، وقد كانوا في الحقيقة مجرد جواسيس، ومن بين هؤلاء "ليون روش" الذي استغل فرصة إعجاب الأمير بشخصه، وتكليفه بتفتيشها ليعمل على تخريبها، وتعطيل البعض منها بحجة عدم فعاليتها، وذلك بالاشتراك مع بعض العسكريين الفرنسيين الفارين من الجيش الذين كلفوا بدورهم بإدارة بعض هذه المصانع(67).

وبذلك يمكن القول أن هذه المصانع والمنشآت كانت غير كافية لتلبية حاجيات ومتطلبات المقاومة من الذخيرة والعتاد؛ فكان المغرب الأقصى هو البوابة الرئيسية للأمير للتزود بمختلف المساعدات العسكرية والمادية، وهذا ما أكده المؤرخ "إيمري" في قوله: "لقد بقي المغرب مدة طويلة دار الصناعة ومنجم الذهب للأمير"[68].

ومما يؤكد هذا الطرح ما جاء على لسان الأمير نفسه إلى وكيله بالمغرب ابن جلون: "وما إن وردت عليكم المدافع التي وعد بها مولانا نصره الله- يقصد السلطان المغربي-...، ولتكن المكاحل بتوالفها"[69]، وكان جواب السلطان على خطاب الأمير بتاريخ 3 يونيو 1840م على الشكل الآتي: "أما عن الذخائر والبارود والرصاص فإنا نرسلها إليكم بواسطة خادمنا ابن جلون من أجل معونتكم "[70].

ويعود الفضل في هذه الإمدادات إلى الدور الكبير الذي اضطلع به وسطاء الأمير عبد القادر المتواجدين في المغرب وفي الضفة الأوربية، ومن بينهم الطاهر بن جلون، ومحمد بن نونة، والطيب البياس، وشقيق الأمير محمد السعيد، وولي العهد سيدي محمد، والبعض من التجار اليهود مثل ابن آس ومانوتشي وابن صور وكوردو وبينيطو وغيرهم.

وقد وفرت لهم السلطات المغربية الأمن والحماية، ومنحتهم رخص وجوازات سفر للمرور عبر أراضيها...، كما عملت على نقل وإيصال هذه الإمدادات، والصفقات التجارية، ضمن قوافل عسكرية، بإشراف مغربي إلى التخوم الجزائرية المغربية، حيث تسلم إلى أصحابها من المقاومين الجزائريين[71].

كما كان الأمير يحصل على السلاح من جهات أخرى، أحيانا من الفرنسيين بموجب المعاهدات، وأحيانا أخرى من إنكلترا عبر جبل طارق[72].

ونظرا لاختلاف موازين القوى بين قوات الأمير، التي رغم أنها بلغت أوجها سنة 1840م، حتى وصلت ثمانين ألف مجاهد، فإنها كانت في معظمها احتياطية غير منضبطة ومدربة التدريب الكافي، وغير مسلحة تسليحا جيدا، عكس قوات العدو، التي وصلت في عهد فاليه إلى حوالي ستين ألفا، وفي عهد بيجو إلى مائة ألف، وكانت نظامية، ومسلحة بأحدث الأسلحة، مما جعل قوات الأمير غير قادرة على حرب المواجهة، لذلك لجأت إلى تكتيك حرب العصابات[73]. وفي هذا الإطار، يقول الأمير للجنرال بيجو: "سننسحب إذا ما تقدم جيشك مما سيرغمك على الانسحاب أنت كذلك. وإذ ذاك سنعود لمهاجمتك. إنك تعلم...أننا لسنا بجبناء. إلا أننا سوف

لن نخوض سوى المعارك التي تليق بنا لأنه ليس من المعقول أن نواجه كل جيوشك دفعة واحدة...سنهاجمكم مرارا وتكرارا، ونرهقكم ونحطمكم تدريجيا. كما سيقوم المناخ هو الآخر بهلاككم. هل ترتفع الأمواج حينما يحلق الطير فوقها؟ تلك هي حقيقة مروركم بإفريقيا"[74].

وقد كتب الجنرال سانت أرنو يصف عمليات هذا الجيش قائلا: "...إذا طوردوا يتفرقون كالطيور، وإذا تراجعنا يطاردوننا كالذئاب..."[75].

وشكل المجال الطبيعي، والمعرفة الجيدة له، أيضا عاملا أساسيا في الانتصارات التي حققها عبد القادر، إذ ارتكزت استراتيجيته العسكرية على هذه النقطة، وعلى مقاومة مسلحة تتلاءم وخصوصيات هذا المجال[76].

وقد اعترف بيجو أمام مجلس النواب الفرنسي سنة 1843م بهذه النقطة، حيث قال: "كيف يمكن الانتصار على عبد القادر، هل تعلمون أين تكمن قوته؟ إنها في استحالة العثور عليه، إنها في المكان الرحب من الصحراء، وبين الكثبان الرملية، وندرة المياه، إنها في الفضاء الواسع، في شمس إفريقيا الحارة، في الغابات والأدغال، فهذه الطبيعة هي سر قوته"[77].

كما ارتكزت استراتيجية الأمير العسكرية على بعد الرؤية، حيث حرص على معرفة عدوه معرفة علمية مدروسة، مع دراسة إمكانياته الذاتية، ولا أدل على ذلك من الشهادات والوثائق المكتوبة التي تنوه بعبقرية هذا الرائد المتكاملة، وبصموده في وجه الغزاة[78].

وأمام نجاعة وفعالية أسلوب حرب العصابات الذي طبقه الأمير في مقاومته للعدو، قرر الجنرال بيجو استخدام نفس التكتيك ضده[79]. لكن دون جدوى، مما جعله يطبق "سياسة الأرض المحروقة" حيث خاطب قواده وجنوده قائلا: "...ليست مهمتكم أن تجروا وراء العرب فهذا غير مجد. إن مهمتكم أن تمنعوهم من أن يبذروا أو يحصدوا أو يرعوا..."، و"...إن الحرب التي سنقوم بها ليست حربا تعتمد على طلقات البنادق، وإنما هي أن نحرم العرب من مواردهم التي تنتجها أرضهم... اذهبوا إذن واقطعوا القمح والشعير..."[80].

وتسلط رسائل الجنرال سانت أرنو بدورها الضوء على هذه السياسة، إذ يقول في إحداها: "...نحن في قلب الجبال بين مليانة وشرشال حيث نطلق القليل من الطلقات ونحرق كل الدواوير وكل القرى وكل الأكواخ، إن العدو يهرب أمامنا في كل اتجاه مصطحبا معه قطعانه..."، و"...بلاد بني مناصر بلاد رائعة من أغنى ما شاهدت في إفريقيا؛ فالقرى والمساكن متقاربة جدا هناك. لقد أحرقنا ودمرنا كل شيء..."[81]، "آه من الحرب كم من النساء

والأطفال ممن لجأوا إلى ثلوج جبال الأطلس قد ماتوا فيها من البرد والشقاء..."، و"...إننا نخرب ونحرق وندمر المنازل والأشجار. أما المعارك فقد كانت قليلة أو لا وجود لها..."[82].

وواكبت هذه العمليات إبادة قبائل برمتها عن طريق الاختناق بالدخان عندما تلجأ هذه القبائل إلى مغاور الجبال، واكتست الحرب كذلك طابع"صيد الرجال، حيث خصص بيجو جائزة لكل جندي يجلب رأسا مقطوعا"[83]. وفي رسائل جندي لمونتياك جاء ما يلي: "...قطعت رأسه ومعصمه الأيسر، وجئت إلى المعسكر أحمل رأسه على رأس الحربة ومعصمه معلقا بسوار البندقية...، تلك هي يا صديقي الشجاع الطريقة التي يجب أن نشن بها الحرب على العرب، يجب قتل الرجال حتى سن الخامسة عشر، وسبي جميع النساء وخطف الأطفال، وتفريغ المساكن منهم وترحيلهم إلى جزر الماركيز أو أي مكان آخر خارج الجزائر، وبكلمة يجب سحق جميع الذين لا يركعون تحت أقدامنا كالكلاب..."[84].

ورغم هذه الأساليب الوحشية، والحرية الواسعة التي تمتع بها بيجو، والإمكانات العسكرية والمالية الضخمة التي وضعت رهن إشارته[85]. فإنه لم يتغلب على مقاومة الأمير إلا بعد سبع سنوات[86]. حيث ظل يطارد عبد القادر الذي اضطر إلى الانتقال إلى الصحراء، مكان وجود عاصمته الجديدة المتنقلة (الزمالة) المكونة من الخيام، التي جعلها حصنا[87]. لكنها سقطت سنة 1843م في يد العدو، الذي غنم كل ثروة الأمير، وهي ثروة المقاومة، زيادة على الأثر المعنوي الذي خلفه هذا الحدث على الشعب[88].

وخلال ما تبقى من سنة 1843م أصبح الأمير مستهدفا من طرف العدو، فاضطر إلى التوجه نحو المغرب لمراجعة خطته، والاستعداد لجولة قادمة. لكن العلاقات بينه وبين السلطان المغربي من جهة، وبين هذا الأخير والفرنسيين من جهة أخرى، لم تلبث أن ازدادت تعقدا[89]، إذ نجح سنة 1844م، في جعل المغرب يتورط في حرب تحرير جزائرية بقيادته، حيث أقام العدو معسكرا في للامغنية، ودخلت قواته مدينة وجدة، فكان رد فعل الشعب المغربي هو المناداة بالجهاد ضد الكفار، مما شكل دعما للأمير[90]. ورغم الضغوط التي مورست على السلطان من طرف الفرنسيين والإنكليز كي يبعد الأمير، ويكف عن دعمه، فإن السلطان لم يرضخ لهذه الضغوط، خوفا من ثورة شعبية داخلية ضده، لأن الأمير أصبح في نظر المغاربة بمثابة قائد حركة جهاد في الجزائر والمغرب معا[91].

وأمام رفض السلطان تسليم الأمير، قام الفرنسيون بضرب السواحل المغربية، لاسيما منها طنجة والصويرة، واندلعت معركة إسلي في 14 غشت(أوت) 1844م، أسفرت عن انهزام الجيش المغربي، وقبول السلطان لبنود معاهدة طنجة التي نصت على أن الأمير عدو مشترك وخارج عن القانون، فأصبح بذلك في وضع صعب، إذ تعذر عليه اجتياز الحدود في اتجاه الجزائر لمواجهة العدو، في الوقت الذي أصبحت فيه إقامته في المغرب غير مرغوب فيها[92].

وفي شتنبر 1845م، وبعد الانتصار الذي أحرزه الأمير ضد العدو في معركة سيدي إبراهيم، حيث كبد قوات مونتياك خسائر فادحة. اضطر بيجو إلى القيام بحملات إرهابية في حق العزل، أما عبد القادر فعاد إلى المغرب خلال يوليوز 1846م، مما جعل فرنسا تمارس ضغطا على السلطان لإجباره على طرد الأمير، كما كانت بريطانيا تحثه بدورها على ذلك تفاديا لاحتلال فرنسا للمغرب، زيادة على خوف السلطان من الأمير الذي تحول بالنسبة إليه كمنافس لا لاجئ ومجاهد، لاسيما في فترة سادت فيها إشاعة مفادها أن عبد القادر يرغب في إنشاء دولة مستقلة في الريف، وأنه يسعى إلى خلع السلطان(93).

ولما شعر الأمير أنه لم يعد هناك أمل في المقاومة، فضل الاستسلام للفرنسيين، مشترطا السماح له بالتوجه إلى الإسكندرية أو عكا، فوافقت الحكومة الفرنسية على ذلك، لكنها لم تلبث أن نكثت وعدها، حيث أبقته في فرنسا، وظل شبه سجين حتى سمح له نابليون الثالث سنة 1852م بالانتقال إلى دمشق التي توفي فيها سنة 1883م، بعد أن قضى سبعة عشر سنة في الجهاد، وستة وثلاثين سنة في المنفى (94).

خاتمة: من خلال ما سبق، يتضح أن شخصية الأمير عبد القادر شخصية فذة، جمعت بين عدة خصوصيات، منها شجاعة الفرسان المحاربين وقوة بأسهم، مما جعله يلفت أنظار العالم بشجاعته الفريدة هذه.

وهو أيضا أمير وقائد، ورمز كفاح أمة من طراز رفيع وجديد، لم تعرفه الجزائر من قبل، ولا الشعوب المضطهدة لا سيما منها الشعوب العربية الإسلامية.

لذلك على شعوب وقادة دول المغرب العربي الكبير اعتماد فكر وعمل هذا القائد السياسي والعسكري الفذ كإطار مرجعي تهتدي به، وتستلهم منه العبر، من أجل خلق الشروط الكفيلة بإعادة اللحمة والوحدة لدول المنطقة، وتمكينها من مواجهة تحديات العصر، من عولمة وفقر وأمية، وحراك اجتماعي...، حفاظا على استقرار ووحدة وسيادة شعوبها، وضمانا لازدهارها ورقيها ورخائها.

الهوامش:

* مداخلة تمت المشاركة بها ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: " **عبد القادر رجل عابر للزمن** " تنظيم المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، و جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، بتعاون مع مؤسسة الأمير عبد القادر.أيام 25- 26- 27- 28/ فبراير 2012 بتلمسان.

*- (عمار (طالبي)، من كتاتيب ابن باديس إلى جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية. مجلة الأمة، دورية إلكترونية محرم، 1405، ص. 69).--- 2- نفسه.--- 3- نفسه.

4- أبو الحسن (التسولي)، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد. دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح. دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1996، ص47.

5- أبو الحسن (التسولي)، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ص ص. 339- 340.

6- محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي. مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص.232.

7- محمد (خير فارس)، م. س، ص. 232--- 8 - نفسه، ص ص . 232-233.--- 9- محمد عبد القادر (الجزائري)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ولأمير عبد القادر. بيروت، 1964، ص147.--- 10- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص.147.

11- الأمير بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق ووثائق. دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق 1421هـ / 2000م، ص 22*.--- 12- تحفة الزائر، ص158.--- 13- الأميرة (بديعة الحسني)، م، س، ص22.

14- وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر. السنة السادسة الثانوية. مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، ص224.---

15- نفسه.--- 16 – محمد (عبد القادر)، المصدر. س، ص.220.

17- محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي. مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص241.

18- نفسه، صص241- 242.--- 19- عبد القادر (الجزائري)، مذكرات الأمير عبد القادر.سيرة ذاتية في السجن سنة 1849. تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، الجزائر 2004، ص13.--- 20- نفسه.

21- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900 .الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1992، ص200 عكس ذلك، ترى بعض الدراسات التاريخية المعاصرة الأخرى، ولاسيما منها دراسة الأميرة بديعة الحسني، أن" الأمير لم يغب عن ذهنه أن هناك خليفة للمسلمين فرفض لقب ملك أو سلطان، وجعل راية دولته من اللونين الأخضر والأبيض وألغى اللون الأحمر لئلا يحرج السلطان العثماني الذي لم يكن على استعداد لفتح الجبهة ضد فرنسا في ذلك الوقت، فحاربها تحت راية مختلفة...". الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، ص.36.--- 22- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، صص36- 37.--- 23- نفسه، ص37.--- 24- نفسه.

25- الأميرة (بديعة الحسني الجزائري)، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص38.--- 26- محمد (خير الدين فارس)، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ص. 241 ورشيد (بوروبية)، القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 75، 1883، ص87.--- 27- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ص. 271.--- 28- محمد خير فارس، ص227.--- 29- نفسه، ص. 228.--- 30- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 273.--- 31- نفسه، ص. 273.---

32- محمد (خير فاس)، م. س، ص. 243.

33- محمد (خير فاس)، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ص. 229.--- 34- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 200.--- 35- نفسه، ص. 175.--- 36- محمد (بن القادر)، م، س، ص. 216.--- 37- محمد (خير فارس)، م. س، ص. 245.--- 38- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 201. ووزارة التربية الوطنية وتكوين الطر، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر.ص. 225.

39- الأميرة (بديعة الحسني)، م، س، ص. 26.--- 40- نفسه، ص. 24.--- 41- محمد (خير فارس)، م. س، ص. 245.

42- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 197.--- 43- نفسه.--- 44- وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر، ص.225. ومحمد (خير فارس)، م، ص. 245.

45- الأميرة (بديعة الحسني)، م.س، ص.38.--- 46- محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث، ص.245.--- 47- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 273.--- 48- محمد (خير فارس)، م. س، ص. 245.--- 49- نفسه.

50- وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر، ص. 225.--- 51- أبو القاسم (سعد الله)، م.س، ص.174. ووزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، م.س، ص.225.--- 52- محمد (خير فارس)، م.س، ص. 245.

53- محمد (خير فارس)، م.س، ص. 243.--- 54- محمد (بن عبد القادر)، م.س، ص188.--- 55- نفسه. ومحمد (خير فارس)، م.س، ص.243.

56- الكلمة الصحيحة، حسب بعض الدراسات المعاصرة، هي "أم عسكر" عكس"معسكر" المتداولة، وقد سميت بهذا الاسم أي "أم عسكر"، لأنها شكلت مقرا لقيادة الجيوش أو لتوفير الجيوش لغيرها، وليست مجرد مكان لتوقف الجند كما يستفاد من "معسكر"، الذي أفقد الكلمة معناها البطولي الذي يوحي به اسم "أم عسكر" عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر . هامش ص47، وهي تبعد عن وهران بحوالي 95كم بالجنوب الشرقي، وتعد من أهم المدن بالغرب الجزائري، وأقدمها تعميرا. كانت عبارة عن قرية صغيرة، وبفضل موقعها الاستراتيجي، جعلها الرومان مقرا لجنودهم، وظلت ضمن الخط الدفاعي المعروف "بالليمس"، ثم أطلق عليها اسم "كاسترانوفا" أي القلعة الجديدة. وخلال القرن 6هـ /12م، اتخذها الموحدون قلعة عسكرية، ثم أصبحت عاصمة الإقليم في عهد باي بوشلاغم، وظلت تشكل مركزا لبايليك الغرب إلى سنة 1791م.

وعلى إثر سقوط مدينة الجزائر في يد المستعمر سنة 1830، خاض أهلها مقاومة بقيادة الشيخ محيي الدين والد الأمير. وبعد مبايعة هذا الأخير، دخلها ونزل في دار الحكومة، فأصبحت بذلك حاضرة لإمارته. وبقيت على هذه الحال، إلى أن استولى عليها كلوزيل في 6 دجنبر 1835 وأحرقها، ثم غادرها، فرجع الأمير إليها ليستأنف منها نضاله، وظلت تشكل العاصمة السياسية للإمارة،حيث يقيم قنصل فرنسا إلى أن غادرها الأمير بشكل نهائي (ن.م).

57- الأميرة (بديعة الحسني) فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص ص.44-45.--- 58- محمد (خير فارس)، م.س، ص.246. و عمار(طالبي)، من كتاتيب ابن باديس إلى جامعة الأمير عبد القادر، ص.70.--- 59- نفسه، ص246.--- 60- نفسه.--- 61- نفسه.--- 62- نفسه.--- 63- الأميرة (بديعة الحسني) فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص28.--- 64- نفسه.

65- نفسه، ص29.--- 66- قاصري (محمد السعيد)، المساعدات العسكرية المغربية للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر"1832-1844".مجلة بحوث ومنشورات،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، عدد14-15، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،208/2007، ص ص.169-181.

67- يوسف (مناصرية)، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص. 62.--- 68- مولاي (بلحميسي)، "الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن من الألفة و الوئام إلى الجفوة و الخصام"، أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، الجزائر، 1998، ص47.

69-Yver, Georges : Abdelkader et le Maroc en 1838 R.A.n°60, Année 1919, p.94

70- جلال يحيى وآخرون، مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية. دار المعارف، القاهرة، 1982، ص.120

71- قاصري (محمد السعيد)،المساعدات العسكرية المغربية للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر"1832-1844"،ص. 174.

72- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص247.--- 73- أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، م.س، ص.256.--- 74- من مراسلات الأمير عبد القادر للجنرال بيجو، عن وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر، ص.80.--- 75- محمد (خير فارس) ، تاريخ الجزائر الحديث، ص. 248.--- 76- الأميرة (بديعة الحسني) فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص ص. 43.

77- نفسه، ص.44. وجيلالي صاري، دور البيئة الطبيعية في استراتيجية الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد خاص، 1983، صص103-108.--- 78- الأميرة (بديعة الحسني) فكر الأمير عبد القادر الجزائري، صص34.--- 79- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص254.--- 80- نفسه، ص254.--- 81- نفسه.--- 82- نفسه.--- 83- نفسه، ص255.

84- فرحات (عباس) ،الثورة الجزائرية.دمشق، 1964، ص80.--- 85- محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث، ص255.

حيث وصل عدد القوات التي وضعت تحت تصرفه 108 آلاف جندي، اي ثلث الجيش الفرنسي. كما وضع رهن إشارته مبلغ 100 مليون فرنك. نفسه.--- 86- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص255. --- 87- الأميرة (بديعة الحسني) فكر الأمير عبد القادر الجزائري، ص. 44.--- 88- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، م.س، صص259-261.

89- نفسه، ص. 261.--- 90- نفسه، ص. 262.--- 91- نفسه .--- 92- نفسه.--- 93- نفسه، هامش.ص.266. و(محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث، ص. 257.--- 94- محمد (خير فارس)، تاريخ الجزائر الحديث، ص. 258.

ABSTRACT: Abdul Qadir the man of the state and military leader

Algeria was one of the first peoples of the Third World has been the victim of a savage colonial invasion in 1830; the latter affected the values, institutions, and factors of unity.

This challenge was brought by the French occupation of the country, has led to different reactions among which the movement of Abdul Qadir resistance was the most important, as it was considered a model for the epic resistance authentic, popular, conscious, and to the creation of the nation and the Algerian state.

What is the historical context in which the public must take an oath of allegiance to the Emir Abdul Qadir?

And how he established the first rules for the construction of an Algerian nation-state?

And what is the strategy implemented by the military commander against the enemy? And the most important battles fought by him